أدب اللامبالاة ... أدب الشهامة والعقوق !

بقلم رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي »

حين اخرج الاستاذ وديع ديب كتابه « الشعر العربي في المهجرالاميركي » كتب الشاعر الاستاذ جورج صيدح مقالا يرد فيه على ما ورد في الكتاب من آراء خاطئة ، ولا سيما ما يتعلق منها بالشاعرالقروي ، الاستاذ رشيد سليم الخوري . ثم نشر الشاعر القروي نفسه تعليقا في صحيفة بيروتية لم يرق للمؤلف الاستاذ ديب ،فكتباليه يعاتبه في رسالة خاصة .

وقد رد الشاعر القروي على المؤلف ردا مسهبا تناول فيه قضيةالشعر القومي العربي كلها ، وطبع هذا الرد في كراس ارسله الى بعض اصدقائه ، فرأت مجلة « الاداب » ان تنشره فيما يلي تعميماللفائدة ، وتقديرا للروح المخلصة التي املته :

عزيزي الاستاذ وديعا

تحية الاخاء . وبعد تسلمت رسالتك ومؤلفك في آن وشكرت لك ما جاء في الرسالة من رقيق الحديث . وما نثرت في تضاعيف المؤلف من شذور الثناء على بعض ما استشهدت به او اشرت اليه من شعري . اما ما ساءك من مقالي المنشور في «الجريدة» فآسف انك حسبته موجها اليك بالذات ، وانما انا كنت قد قرأت عدة كتب تبحث في الادب العربي صادرة عن دور اجنبية مريبة ، وتستحق اكثر من السهم الذي رميت .

بيد ان تقتي باخلاصك ، واخلاص الكثيرين من ادبائنا الكبار امثالك ، لا ينفي استغرابي الممزوج بالالم ، ان في ابحاثكم ما يشبه ويدعم ابحاث من عنيت . انكم مثلهم تعلمون بنقدكم الخاطىء ، على صرف اذهان النشء عن واقع امرهم ، وتبغضون اليهم او على الاقل ، تزهدونهم في الادب القومي الذي لا غناء لنا اليوم الا به ، فانما نحن احوج الى ادب يخشاه المستعمرون ، لا ادب يكونون هم اول ناشريه والداعين اليه والمروجيه . وبالاختصار انكم تهملون كل الاهمال ما يجدر بكم ان تعنوا به كل العناية . فأنت . كسواك من معظم مؤلفي الكتب في الشعر المهجري، قد حسدت في كتابك ما حشدت من الامثلة على الحنين والغزل والتفلسف والامومة والتصوف وما الى ذلك من النواعم . ولكنك اعرضت اعراضا تاما عن الحماسيات . ولم تقدم شاهدا واحدا من هذا الشعر الذي يصدوره عن القلب ودفاعه عن انبل مطالب الحياة بحقق شرطين جوهريين من شروط الشاعرية . وقد بلغ بك ان تجانفت عنه حينما اتفق دنوك منه كأن فيه برصا فانك لما ساقك المام الشعر المهجري بالطقوس الدينية . الى ايراد مثل من قصيدتي « وداع تنديل » جئت بهذا المخمس :

فقل لمن ضلوا سبيل الهدى
وضاع فيهم كل نصح سدى
يا وطني منك نفضت اليدا
فمن يحاول عنك دفع الردى
حاولَ امرا دونه المستحيل

ثم قفزت منه الى مرادك فاظهرت الشاعر ، وتركت القارئين معه ، في هذا التشاؤم اليائس واكلت عليهم المخمس التالي الذي جاء فيه الرجاء والبرء والعافية :

لا ! لا ! ستحيا رغم انف الزمن
بل انت حي رغم هذا الكفن
ما دام حر واحد في الوطن
فهو بهذا الحر حر وان
عاش به مليون عبد ذليل

ولو انك يا اخي وديع قاطعت الشعر الوطني مقاطعة سلمية فحسب ، لهان الخطب . ولكنك ابيت الا أن تشهر عليه حربا باختيارك منه ما استعبت ، واتخاذه جسرا للهجوم على ناظمه بلواذع الكلم . فهل ذكرت من هذا الشعر الذي يسمع بلادك المستعبدة صوت الحرية ،والذي يعمر به ديواني البالغ الف صفحة غير بضعة ابيات وجدت فيها مغمزا لقناة أو مجالا لتعريض ؟ ألم تشح عن كل ما في عينية « سلطان الاطرش والتنك » من الفن الذي طالما اعجب اقرانك ، محاولا تدمير اقوى ابياتها التي آسف انك لم تحسن تأويل المراد من مخاطبتي السيد المسيح فيها على هذا الشكل المستثير المستنصر ؟

احبوا بعضكم بعضا وعظنا
بها ذئبا فما نجت قطيعا
فيا حملا وديعا لم يخلف
سوانا في الورى حملا وديعا
الا انزلت انجيلا جديدا
يعلمنا اباء لا خنوعا
اجرنا من عذاب النير لا من
عذاب النار ان تك مستطيعا

فهل من دليل على صدق هذا الشعر انصع من تهافتنا على اقدامهذه الدول الغربية التي تحتقرنا واستمرارنا على احتمال صفعاتها المتوالية بروح فقدت كل اباء ؟ وأي خير وأي جمال ترجو الانسانية على ايدي ادباء يجبنون عن ذكر مآسيها فيتغاضون عن الظالمين ويغذون بأدبهم الافيوني روح الاستعمار ؟

انما مثل هؤلاء المتمسيحين مثل اخوة لا هم لهم غير المناقشة في الدين ، ولهم اخ يكدح لعيالهم ويحمي ذمارهم . فبدلا من الاعتراف بجميله راحوا يعيرونه بالهيام بالدنيويات والميل الى الشر والخصام ...

ثم او لم تسدل الحجاب على ٤٢ بيتا من قصيدة « وثبات العقول » لتبرز لقارئيك هذا البيت الوحيد الذي لم يعجبك:

ان يكن صاحب القداسة سفا
حا فماذا تريد من غير صاحب

لانه حسب تعبيرك الحرفي « يدل على تطرف في القول تأباه النفوس » . وتساءلت « هل يجوز ان ينعت قداسة البابا بمثل ما يزعم » ؟

اني بدوري اسالك نفوس من تعني ؟ اللذين يؤلهون البطاركة والبابوات ويعصمونهم عن الخطأ . ام الذين لا يعبدون غير الله والحقيقة ؟ وهل يجوز لقداسته في شرع المسيحية التي يجلس على عرشها ، ويعتصب بتاجها ، ويحمل صولجانها ، ان يبارك مدافع السفاح ، ويشاركه في البغي على امة ضعيفة عزلاء مسالمة ، ومسيحية مثله ايضا ، هي امة الحبشة ؟ واذا جاز هذا لقداسته ، فلماذا لا يجوز لخاطيء مثلي ان ينعته بعمله ؟ ومتى كانت تسمية الشر باسمه شرا من الشر نفسه ؟

انا لا احتاج الى من ينبهني الى قساوة هذا البيت وكثير مثله في شعري الوطني لاني ما نظمته الا وانا اريده واعنيه . ولاني في معرض الذود عن امتي المهددة بالفناء ، لا اصنع شعرا اهمم به في رؤوس الاطفال ، بل ابريه سهاما لقلوب الطغاة المعتدين ولكل راض عن طغيانهم ساكت على اعتدائهم ، ولاجلد به ظهر كل اديب يزرع حشيش الادب ، ويتاجر به ، ويعاطي النشء البريء سمه الزعاف .

ثم لماذا تبرر غضب المسيح ولا تبرر الذين يهتدون بهديه ويحتذون مثاله ؟ لئن « آذاه ان يرى بيت الله مغارة لصوص كما احتججت ، فنحن قد آذانا واطار صوابنا ان نرى مسقط رأس هذا الاله .. ومدفنه وكنيسته ، لا « متجرا للخنا والسلب » فقط ، بل ماخورا تفعل فيه افظع ضروب الافاعيل كما يشهد تاريخ فلسطين الحديث .

ترى اذن ان الجريمة التي اسخطت صاحب الموعظة على الجبل ، وافقدته صبره ، فألهب ظهور مقترفيها بكرباجه ، لم تنته بصلبه . بل هي لا تزال حتى اليوم عاملة على محق المؤمنين به ايضا من الوجود — اذا استمرت غفلتهم — والقضاء على دينهم ودنياهم معا . فاذا كان عذر الناصري يقوم على الركن الروحي وحده ، فان عذر اخيك الشاعر يقوم على الركنين ، الروحي والزمني كليهما . والاخير عندي هو المراد . فانني ما عرضت قط في شعري لدين او لكفر كباحث في العقائد ، بل مسخرا اياها للبلاغ الوطني الذي وقفت عليه معظم ادبي وحياتي .

سلام على كفر يوحد بيننا

واهلا وسهلا بعده بجهنم

ولو انك اطلعت بامعان على ديواني الذي وزعت منه على عشرات المكتاب والمعاهد العلمية عندكم ، قبل ان تطبع كتابك بسنوات ، لصححت فضلا عن رأيك في هذه الامثلة من شعري التي نقلتها عن الذاكرة او الصحف مشوهة تشويها محزنا ولانكتشف لك ان الحقيقيين بنقدك ، انما هم أولئك الذين ورثوا التعصب الديني عن اب وام . فتقولبت عقولهم الطرية على احذية الصينيات ... اولئك الذين يتمنون يوما كما نتمنى لو كانت لهم امام محكمة الضمير والوطن والتاريخ ولو قصبة مرضوضة من العذر يتكئون عليها ... اولئك الذين لم يغضبوا قط لما طالما اغضب ربهم ... اولئك الذين لم يفهموا من انجيل محبته سوى التغاضي عن فظائع الغرباء في اوطانهم . والصفح عن الذين يقتلون اخوانهم بالجملة . فاذا رأوا خنصرا عربية تشير الى اشباحهم المتألهة توهموها سبابة ... فنصبوا للجرس الخفي آذانهم وهموا بالهجوم .. ترى اذن يا صديقي انها رسالة الحرية الفكرية ، والجرأة الادبية ، والغيرة الوطنية ، التي مع كل تطرفنا المزعوم منك ، لم نبلغ فيها حد الضرب بالكرابيج في الهياكل ... هي التي املت علينا ما انكرت .

واننا لنعجب كيف خطر على بالك اننا اقتبسناها من تعاليم نيتشه او غيره من الغربيين ، وعندنا المعلم الذي صاح في وجوه فريسيي زمانه « يا أولاد الافاعي » . واخوه الذي هتف بعده بستة قرون « قل الحق وان كان مرا » اننا عن هذين المعلمين الاكبرين اخذنا . ولسنا نتطلب من اي اديب عربي ، لكي يتتلمذ لهما معنا ، اكثر من ان يساوي وطنه بدينه ومذهبه ... وان يضع امته وبلاده موضع اسرته وبيته . وهذا كل السر في الفرق بيننا وبين الذين ينقمون منا غلونا في الوطنية . اذ كيف تنتظر من امرىء ان يغضب وهو لا يشعر انه اهين ... او ان يقاوم وهو لا ينذر بعدو .

ولقد حضضتني يا اخي الوديع في رسالتك على ان اعد العشرة ... لانني اثور كلما خضت في حديث امتي السعيدة المظلومة المشردة في البراري . فما بالك لم تعد الخمسة قبل ان تسمع في شهادة الغيبة والجهل . وتقذف على ثوبي الناصع دستة من بيض الظنون المذر .. وانا لم أسيء اليك او الى امتك امتي قط ؟

القروي جرفته القوافي في تيارها ... القروي استهواه تصفيق المنابر ... القروي ما نظم الكثير من شعره الوطني الا وفي نفسه شوق الى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس ... القروي يستدرجه المنبر الى ما يرضي عباد المنابر الخشبية .. القروي في شعره تطرف في القول تطرفا تأباه النفوس .. القروي يميل الى مجاملة الخاصة وارضاء العامة وتهريج النقاد ... الى غير ذلك من التهم الباطلة ، والتجنيات الجائرة ، حتى ليستغرب المطالعون تخصيصك القروي بهذه الشدة في نقدك . فبعض يكاد لا يخفي ريبته في عدم تحيزك ، وبعض يغالي فيقول كأنك لم تؤلف كتابك الا لتشن هذه الغارة علي . وانك ما تداركتني بسفة من السكر في

تقريظك الا لاستستيغ ما جرعتني من الخروع في نقدك.. أما انا فاني لم يخامرني شك في نبل شعورك نحوي. وعذرك عندي انك قصرت التشنيع على ابيات معدودة اكرهتني بعض مواقفي تجاه الاستعمار على ان المس فيها وتر الدين ... وأتصدى لنزعة روحية قد يكون لها في نفسك جذور عميقة . واليها مرد حملتك المتطرفة علي. ومثلك كثير من خلص اخوان الادب الذين يحسون احساسك ويمضهم من هذا الشعر ما مضك . ولولا الكياسة التي يفرضها عليهم ادبهم وثقافتهم لما اختلفوا في هذه النعرة من عامة الناس. وانا اعرف هذا الضعف فيهم فأعذرهم وأحبهم كما اعذرك وأحبك .

ولكن اذا برأتنا هذه النزعة الموروثة من سوء القصد ، فان تاريخ جهادنا القومي لن يبرئنا من عبوديتنا السياسية. وعلى الدين الصحيح والادب الصحيح ان يتعاونا على تحريرهما من كلتيهما .

ان الامة العربية واستقلالها وبقاءها ومثلها غيرها من اخواتها الشرقيات الرازحات تحت نير الغرب ، لاهم عندي بكثير من رجل فرد يقيم في عاصمة الرومان . انا عرضت بانسان من اجل مبدأ ، من اجل امة منكوبة ، من اجل سلام الانسانيةالتي تبشر انت اكثر مني بخيرها وسعادتها. وانت ذممتني علنا من اجل انسان ، مهما سما قدره ، فانه يخطيء ويصيب كسائر الناس... وقد اساء قبلي الىنفسه باساءته الى ذلك المبدأ وتلك البلاد وهذه الانسانية . فما اعظم الفرق بين حملتي وحملتك يا اخي . وما كان اقربك الى العدالة لو انك حولت عظامك الى الذين تهز رياح البغي جبالهم ولا تهز الريشة .. التي بين انامل هم .. ولا يثورن كالعاصفة الا على من يثور من اخوانهم على الظلم ويكافح الاستعمار وينشد الحق السليب ويذود عن الحمى المستباح.

وما كان اولاك بأن تقول معنا للذين يسمون دفاعنا هجوما ، وتظلمنا ظلما ، ويعدون كل هبة ريح ساكنة منا تطرفا : الا ساء ما تتصورون يا اخواني وما تحكمون. لئن كنتم تترفعون عن التعاون مع حمقى الوطنية امثال فرحات والقروى ، فدعوهم على الاقل وشأنهم . لكم دينكم ولهم دين . واذا غنيتم ورقصتم في جنازة احبابكم واحبابهم ، ولم تحترموا الهم وحزنهم ، فلا تضاعفوهما بعزمكم عليهم ان يغنوا ويرقصوا معكم . او تميلوا عليهم بالسخرية والتانيب وتحكموا سفاهة وجهلا بالاعدام على حماسياتهم النابضة بالحياة ، والتي تبقى ولو كرهتم ، ما بقي للنقد النزيه وجه لم يشوهه التعصب والهوى ، وما دام للحق والحرية والعدالة انصاب قائمة في ساحات المدن وصدور الناس .

الا ساء ما تتصورون يا اخواني وما تحكمون ! افتطلبون من شعراء الوطنية اعتدالا وهم يطوون بين جوانحهم شعور امة ! اذا احترق صدري عطشا . أأستطيع تحديد قياس الماء الذي اصبه في الكأس اذا كان الى الخط الذي تزر عليه الجيوب ، او الذي تدور عليه القلانس ؟.. واذا لدغتني افعى أفأملك تعديل صيحتي لئلا توقظ النائمين ...

الا ان الشاعر البطيء النبض ، الشاعر الذي لا يغضبه الباطل ، ولا يهيجه الظلم ، ولا ينفر ويستنفر لنصرة العدالة والحق ، ليس عندي شاعرا بالمعنى العربي الصحيح الجميل . انه ادنى ان يكون ببغاء كنيسة ، اذا رأى قويا يبطش بضعيف ، ردد قول الناصري : حبوا بعضكم بعضا ولكنه لا يشعر بأقل واجب نحو احد هذين البعضين... الذي هشمت انفه العصا او فقأت عينه اللطمة او هرقت دمه السكين ... واذا تسلق مثل هذا الاديب المتطاول جدارا او عمودا او كتفا ... فانه لا يعلو عن مستوى رسام بسيط بالحروف والقوافي . يحسن رسم طاقة زهر او صحن فاكهة او زورق في ميناء . ولكنه اعجز من ان يصور انباج النفوس المتلاطمة وما يدمدم في صدور الشعوب المرهقة المتحفزة من أعاصير الآلام المبرحة . والاماني البعيدة . والعواطف القوية الهائجة . اللهم الا عواطفه وامانيه الخاصة ... ان ثروته من الشعور لا تزيد عن كفاف انانيته الضيقة ... ولكي يستر فقره المدقع من هذا القبيل يلجأ الى خياله المثلج ... وينشر منه على الافاق . سحابا جهاما يسميه المحبة الانسانية

دار الآداب تقدم :

قضايا جديدة في أدبنا الحديث

بقلم الناقد المصري الكبير

الدكتور محمد مندور

دراسات نقدية معمقة عن الانتاج العربي الحديث

وعن مشاكل النقد والادب

صدر حديثا

المسيحية ... التي لا تعرف وطنا ولا عشيرة ... ويروح يتغزل بهذه المعشوقة ما شاء له رياؤه واطمئنانه الى السلامة والامن ... وكيف لا يحاول الفوز برضاها . وهي العروس الغنية التي لا تكلفه مهرا غير التشبب بمحاسنها والتطبيل والتزمير للمتاجرين باسمها ...

ان عريس الانسانية المزعوم لاحكم من هؤلاء الشعراء المجانين الذين يصادر الاستعمار كتبهم ويسلط عليهم السنة السفهاء والخونة ويحوك المؤامرات لقطع ارزاقهم واعناقهم . هؤلاء المهاويس الذين يخلقون لانفسهم الاعداء في كل زاوية وحفرة وعتمة ... ويركبون الاسنة طوعا واختيارا لمنازلة الطغيان ولا يبالون ان يقاوموا المخارز بعيونهم ... في سبيل واجبهم نحو احب احبابهم . وطنهم وبني امهم !

وهل يتهم « بالهوس » حسب تعبيرك ، والتعصب الاعمى لوطن او دين يا عزيزي الوديع ، من يخاطب علم بلاده بمثل هذه الابيات :

ان كنت للحق فلتخضع لك الامم
او كنت للظلم لا حييت يا علم

اني أعيذك من مجد يغض لـه
جفن الاباء ويستحي بـه الكرم

قد يحسب المرء نذلا وهو منتصر
وقد يعد شريفا وهو منهزم

وهل يكون مثل هذا النفس المحيط المحلق . الذي يستدبر تخوم الاثرة والذي يضع القيم الاخلاقية في اعلى مرتبة شعرا سياسيا اقليميا عقيما ، كما يطيب لبعض الناقدين وللمقصرين في مجاله ان يدعوه ؟

واني لاربأ بعلمك الغزير يا اخي ان تعوزه الزكانة التي لا غنى عنها لمن يمارس النقد . والا فكيف نوفق بين اعتقادك ورأيك المتناقضين . اعتقادك الذي اقابله بأعظم الشكر وعدم الادعاء . اني « في نظرك اخلص شعراء العرب للقومية العربية . لا تستثني منهم احدا » ورأيك « اني ما نظمت الكثير من شعري الوطني الا وفي نفسي شوق الى اعتلاء المنابر وتصفيق الناس ؟ » ايجتمع الاخلاص والرياء في صدر ذي رسالة نبيلة كمن وصفت ؟ وهل روى التاريخ ان حرا بعيد الهم كبير مراد النفس القى بالا الى « تصفيق العامة ومجاملة الخاصة وتهريج النقاد » ؟

عندكم اذن ان من عيوب الشاعر وشعره ان يصفق له السامعون ... ومن حسناته الا يلبي دعوة الى الكلام ، الا وفي نيته ان ينوم الناس ويتركهم نياما ويخرج ... وان الشعر يجب ان يصنع ليقرا فقط ، لا ليلقى في المحافل .. واذا تلي على الجماهير فخير ان يكون هدهدة للصغار الرضع ، او تسكينا لاعصاب المكدودين ، لا ان يكون خطابيا مبلغا ، يحض على دفع ضيم ، واحقاق حق ، وتحرير امة مستعبدة ... واذا كان كذلك ، فالاجدى في عرفكم ان يخطىء هدفه ، فيقع دون الاذان باردا خافتا متلاشيا ... وان يضيع القصد منه ، فلا يتحرك له سامع ... ولا تهتز له روح ... كأنما هو يلقى على اصنام ، والا كان الشاعر في زعمكم مهرجا ، لا يعتلي منبرا ، الا لتطرب اذناه تصفيق العامة ، وهتاف المجاذيب ، فالادباء — ولا سيما كبارهم يربأون بعلمهم وفنهم ان يكونوا من الاحياء ... وان يطربوا ويألموا ويشعروا كسائر الناس ... وان يساووا السوقة في استحسان الحسن ... وان الاليق بشهاداتهم الجامعية ، الا يكتبوا او ينظموا الا في المواضيع التي لا علاقة لها بهذه الارض وسكانها ... او ان يتخذوا من معرفتهم لغة اجنبية حرفة للعيش فينصبوا على ترجمة كل سخيف مغر من كتب الفرنجة سادة الناس ... ومستعمري الشرق ... وان يدعونا الى اصطناع اساليبهم ، وانتهاج مذاهبهم في الادب ، فهؤلاء لا قضية حرية سياسية عندهم ، ولا عبودية يرسفون في قيودها ، فتقض مضاجعهم . واذن فينبغي لنا ان نطمئن الى الحياة كما اطمأنوا ، وان نستريح من هذه اللبكة التي لا مبرر لها ... كما استراحوا . والا كنا في عرف (مجاطرة) الادب .... من دعاة الحروب ... واعداء الاخاء الانساني ....

اما الغريب في هؤلاء الحاملين على الشعر الحماسي ، فهو انهم يحاولونه احيانا فلا يخرجون منه بطائل ... وقد يجيده بعضهم اجادة فنية كتمثال منحوت ، لا ينبض له عرق بدم ، انهم يتكلفون وصف آلام المتألمين من بني قومهم ،

في المكتبات

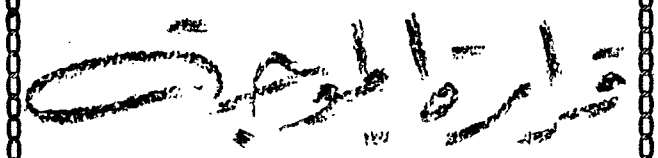

للشاعرة العربية المبدعة

نازك الملائكة

منشورات
دار الآداب

بيروت ص.ب. ٤١٢٣

واما هم ذواتهم ، فانهم لا يشعرون معهم بأقل الم او حرج. انهم خليون من هذه الهموم ... لهم حياتهم الخاصة التي تشغل كل وعيهم ... ويريدوننا ان نكون مثلهم ... والا فلسنا شعراء ... بل هم الشعراء ونحن النظامون ... هم زملاء ملتون وشكسبير وغيتي وشيلر ، ونحن من مدرسة تشرشل وترومن وكلمنصو ،لاندور الا في فلك السياسة..

ليس العجب ان تستهوي نبرة الحرية نفوس عامة المستعبدين من قومنا وغير قومنا يا اخي وديعا ، وان يصفقوا لها ويهتفوا ويستعيدوا ، ولا سيما اذا ما سمعوها من شاعر آمنوا به فآمنوا له . بل العجب كل العجب الا تستهوي الخاصة قبلهم ... والخاصة اجدر بفهمها على حقيقتها ، وأولى بالتجاوز عن كلمة فيها او بيت قد ينبو عنه سمع بعضهم ، من اجل الغاية المثلى ، غاية الاستقلال التي يجب ان توضع فوق كل اعتبار شخصي او طائفي او حزبي . اقول بعضهم ، لان معظم الخاصة الذين تعنيهم ، كانوا اسبق الى التصفيق والهتاف والحمل على الاكتاف ، ولو انك كنت حاضرا لشاركت اخوانك فيما تعيب عليهم الان، ذلك لان الذين كانوا ينفردون في النقمة من الشاعر ومن المعجبين به ، ليسوا غير جماعة الاحتلاليين المتفرنسين... واجلاف المتعصبين والدهماء ... ولم يكن بينهم شاعر واحد كبير ... كما احرجوني يوما فقلت :

انصاف أميين يا أعبدا
الا بذل ما لهم ذكر
هاتوا لنا من صفكم شاعرا
اذا شدا قيل كذا الشعر
في كل يوم نابت بينكم
غر جديد دأبه الهذر
مهما كثرتم ما لكم قيمة
مليون صفر قدرها صفر...

ان ادباء مهجرنا الكبار ، لم يشكّ بعضهم غبار بعض قط ، لانهم يجرون صفا واحدا في الطليعة ، فما ذنبهم اذا عميت عيون الزاحفين في المؤخرة وانسدت خياشيمهم؟.. ولقد كان اخوك يقول كلمته ،غير آبه بما تجر عليه من اذى اكيد . بل المضحك المبكي اني كثيرا ما ارضيت العدو ، واغضبت الصديق ، فيما رأيته حقا فجهرت به ، او باطلا فحملت عليه :

لأقول كل الحق حين عدوي
الراضي وحين صديقي المستاء
فلكم تنكر لي صحاب لم ارد
اغضابهم وتشكر الاعداء
للعدل قسطاس بكفي قائم
العرب والافرنج فيه سواء
خلق اموت عليه غير مهاود
ولو ان خسران النعيم جزاء

ولك على صحة هذه امثلة في عدة مواقف دقيقة حازمة. وحسبك قصيدة « يهنىء بعضكم بعضا » في عيد المولد النبوي . وكان حاضرا ساعة القائها الاديب الفلسطيني المعروف الاستاذ يعقوب العودات. فسله كيف وعلى من ألقيت يخبرك الى اي حد تبلغ الجراة الادبية بأخيك ارضاء لوجدانه الذي لا يجامل خاصة ولا عامة ، ولا يأخذ بنصيحة اخ ولا اخت ولا أم كلما خاض ميدانا من ميادين الواجب القومي.

بقي نقطة لا اريد انهاء حديثي معك دون ان اشير اليها . وهي قولك في معرض الكلام عن فرحات : اني واياه « كدنا نتفق على اتهام اللبنانيين بالذل والخنوع لانهم لم يتمشقوا السيف الخ » . فأقول انني مثلك لا اجحد فضل وطننا الصغير الحبيب لا على البلاد العربية وحدها ، بل على كل بلاد هاجر بنوه اليها ، وانه « كان بوق التحرر ورسول النهضة الادبية والفكرية لمن حوله » ولكن كل هذه الحسنات القلمية لم تغنه عندنا عن حريته التي لو ارادها في ذلك الحين لما عدم وسيلة غير السيف يعلن فيها رغبته . وحملتنا النزيهة عليه لم تكن لقعوده عن الجهاد فحسب ، بل لانه كان بذل الانتداب راضيا ، وله طالبا ، وعلى من اراد تحريره منه ثائرا

صبرنا على عيش من الذل انكد
وانكده الا ترى العيش انكدا

وكانت مصيبة احراره به اشد من مصيبته بالمستعمرين

قريبا — دار الآداب تقدم

حلقات اخرى من

سلسلة الثقافة القومية

يشارك في تأليفها عدد كبير من ادباء العروبة

منهم

الدكتور عبدالله عبد الدائم ـ الاستاذ رئيف خوري

الدكتور نور الدين حاطوم ـ الاستاذ شاكر مصطفى

انتظر هذه الحلقات الهامة

ما ان ذممت غريبا يستبد بـــه
الا اتاني ذم من اهاليـــــه

ولعلك اذا تمعنت في قصيدتي ــ عيد استقلال لبنان ــ واما الالى ــ تعلم باي محبة وغيرة ولهفة ورحمة كنت احمل على حبيبي الاول اجلالا له عن حياة الهوان ، وهذه الروح المتجلية في اقوالي ، تجسمت مرارا في افعالي ، فاني حينما ابصرت راية الارزة ــ الارزة البريئة من اي شعار اجنبي ــ ترفرف لاول مرة في مطار صنبول ، وسمعت صدى « كلنا للوطن » يتجاوب في سماء مهاجرنا السحيقة، طغى شعوري بالعزة القومية حتى كاد يتفجر صدري وطفقت ابكي وانشج كالطفل الصغير ، لشدة فرحي ، وأحسست في تلك الساعة السعيدة ، اني استطيع انا قبل الف اسخريوطي يحتال على صلبي ، وان اجرف العداوات كلها بفيض العاطفة المقدسة التي غمرت قلبي . ولقد عبرت عن هذا الشعور الطامي ، والروح السمحاء ، ببيتين من قصيدة حال من لا اسميهم دون القائها في المهرجان حيلولة اضافت حسكة جديدة حادة الى اكليل الشوك الذي ما ضفره لي غير اللبنانيين اخواني ، والذي طالما ادمى جبيني وفؤادي في سبيل حرية وطنهم وطني * وهاك البيتين :

لنمح خطايانا بدمـــع سرورنا
عفا الله عما لفقته الجرائـــد

تعالوا اقبلكـــم فلبنان جنـــة
ولا يستحق العيش في الخلد حاقد

كان ذلك شأني في المطار ، والمواطنون يهرج معظمهم ويمرج في حالة من السرور المعدني اليابس ... وبينهم فئة من الذين لم تؤلمهم قط جراح الهوان الاستعماري ... ولم يتجاوز فرحهم باستقلال وطنهم حد الاضطراب العصبي الذي كان ، لو صوروه ، ينبعث من عيونهم بشكل قنـــاة تهتز كعصي السحرة ... وفي رأسها سنان من التحدي السام ..

تلك الفئة هي التي كانت وربما لا تزال تعد القروي عدو لبنان الالد . وكانت وربما لا تزال تعرب عن حبها للبنان باحدى آيتين او كلتيهما معا . بغضها العرب ... وحلمها بتقديم وطنها هدية لدولة ما غربية ...

ولقد افرط يوما بعضهم بالتبجح حتى خيل الى سامعهم ان لبنان لم ينل حريته الا بجهادهم وتضحياتهم فأخرجت مفكرتي وكتبت :

للاستقلال يوم الجد معنى
عدمتم روحه اثرا وعينـــا
فلو عادت حبيبتكم لعدتـــم
وعدنا للنضال كما ابتدينا

وختاما يا صاحبي ، ان الناقدين عندي ثلاثة : عاقل وجاهل ومتحامل . اما العاقل فلا يخشاه غير المتطفلين . واما الاخران فلا يظلمان غير نفسيهما في نقد لا يخفى سخفه او خبثه الا على عميان العقول والقلوب . ويقيني انك في العقلاء . وانك صادق الوطنية طاهر النية . ولكن عطل كتابك من أعلق مواضيع الشعر المهجري وغيـــر المهجري بمصلحة الامة في اشد ايام محنتها . الادبية على الخصوص ، اذكرني الفئة الشعوبية التي تتعمد الحط من قدر هذا الشعر وناظميه فأكرهني على هذه اللهجة الحارة. لا ردا عليك بالذات ولا حقدا ، فقد نال شخصي الوضيع من اطرائك ما ارجح في نظري كفتك ، وأوجب علي شكرك. بل لان الذكرى الاليمة ضربت بعنف على ادق اوتار الحس في نفسي ، فكانت عاملا على وري الزناد ، واشـــعال الفتيل .

ولا شك عندي في ان هذه النار تنزل بردا وسلاما على كل ابرهيم وطني حنيف . ولا تحرق الا كل مريب، لا يشعر بهول الجريمة الكبرى ومأساة المآسي فـي تواريخ الامم قديمها وحديثها ، ولا يترجع لها عن فؤاده صدى ، غيـــر هذا الصدى الرتيب المنكر :

ادب اللامبالاة ... ادب الشماتة والعقوق .

فيا ارباب البيان . ويا اساطين الفكر في شرقنا العزيز : ان الامة العربية ، امتنا لا سواها ، على شفا جرف من التشريد العام ، والافناء التام ، وعلى اديبها ، قبل اي جندي فيها ، ان يفتح العيون على هذه الحقيقة المرعبة ، لا ان يزيدهن غمضا وسياحة في عوالم الاحلام .

ان في الكلمة لسرا يحيي ويميت وليس في هذا الادب الذي نعيره كل اهتمامنا علاج لامة مدنفة ، بل هو قميـــن باضعاف القوي ، والاجهاز على الضعيف ، وما احتج منا بالادب الانساني ، الا كل من لا يعد قومه في الناس ، او كل عريض الدعوى ، يتطال الى الابعد ، وهو يقصر عن الادنى . واني لاعيذ كتابنا وشعراءنا ، اللاهين منهم بالزهور والخمور والشهوة الحمراء ، والمعالجين منهم كل فنون النظم والنثر، ما عدا ادب الواقع المرير ، ادب الحاجة الملحة ، ادب النضال الطبيعي الشرعي في سبيل البقاء ، ادب الرجولة والحميـــة والنخوة والنجدة والتعاون على البر بالاهل والاوطان ، الادب الذي هو اليوم وحده ــ دون سائر الوانه ، بوق بعثنـــا ، وكوكب رجائنا ، وخبز كياننا ، وعماد بنياننا . اني لاعيـــذ هؤلاء الاخوان العباقرة ان يحيروا التاريخ يوما في اي عصر وجدوا . ومن اي امة كانوا ...

الشاعر القروي
رشيد سليم خوري

برزدنتي برودنتي ــ برازيل

---

* وددت لو لم احمل على بث هذه الشكوى التي لا يسوغها الا عندي الا انها تسد في تاريخ هذه الحقبة خللا وتجيب على سؤال... فقد تسلمت اثر ذلك الحادث رسالة ضافية لا تثمن عندي بمال لنفاستها الادبية والتاريخية . اشترك في توصيع صفحاتها رهط من اشهر ايمة العلم والادب والصحافة في لبنان . كل بقطعة بخطه وامضائه . يعلنون فيها تضامنهم معي . واستعدادهم للاخذ بالشخصية الرسمية المسؤولة عن خنق صوتي . ولولا تسامي ، واشفاقي ان اتسبب في تشـــويه العهد الجديد بالخصام ، لما تهنأت تلى الشخصية بمنصبها الرفيع بيننا امدا طويلا .